لاهوت فلسطيني ضد التهويد

تعرّضت الاماكن المقدسة في القدس المحتلة لمحاولة استيطان استهدفت حي النصارى في المنطقة الشرقية من المدينة، حين أقدم مئة وخمسون يهودياً متطرفاً، بتاريخ ١١ نيسان (ابريل) ١٩٩٠، على احتلال بيت الضيافة التابع للبطريركية اليونانية، والمعروف بفندق مار يوحنا، ممّا أثار غضباً شعبياً في القدس، وفي مختلف المناطق الفلسطينية المحتلة. وقد أدّى احتلال الفندق الى وقوع صدامات ومواجهات بين المقدسيين، وبضمنهم رجال الدين المسيحي من مختلف الطوائف، من جهة، والمستوطنين اليهود والشرطة وحرس الحدود الاسرائيليين، من جهة أخرى، وسرعان ما تحوّلت المواجهة الى تضامن مختلف الطوائف المسيحية في القدس حول قضية الدفاع عن الاماكن المسيحية المقدسة فيها، تعزّز بظهور تضامن اسلامي معها ضد الغزوة اليهودية الاستيطانية الجديدة، التي كشفت عن نوايا خطرة لمتابعة عمليات الاستيطان والتهويد في القدس العربية، انطلاقاً من السيطرة على الوسط المسيحي فيها، هذه المرة، وخلق نواة استيطانية للتمدّد مستقبلاً. غير ان تطوّر المواجهات المستمر، والمتواصل، منذ احتلال المبنى في ١١ نيسان (ابريل)، أدّى الى ظهور تغيّرات في موقف الكنيسة، ورجال الدين المسيحي عموماً، من الصراع الجاري في البلاد بين المواطنين الفلسطينيين فيها وسلطات الاحتلال الاسرائيلية، تمثّل في انتقال الكنيسة المسيحية الى موقف صدامي فاعل، ومؤثر، في سياق النضال الوطني العام المناهض للاحتلال في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. لكن، على الرغم من النتائج الايجابية هذه، ممّا تكشفت عنه معركة الصراع حول بيت الضيافة، الاّ انها حملت، في الوقت عينه، مخاطر تواصل عمليات التهويد في الوسطين، الاسلامي والمسيحي، وما ينذر به من مساعٍ وخطط لتهويد كامل المدينة المقدسة.

خطة مسبقة

لم تأت محاولة الاستيطان في الحي المسيحي، في القدس، مصادفة، أو بفعل عمل افرادي من قبل جماعات هامشية، بل يعود الامر الى تخطيط مسبق أُعدّ له بشكل دقيق، واشترك فيه بعض الاطراف الاسرائيلية الرسمية ذات العلاقة بعمليات تهويد الاماكن المقدسة، فيما ترك أمر توفير الغطاء العلني المباشر للعملية لمنظمتي «عطيرت كوهنيم» و«عطيرت ليوشنا»، اللتين تعتبران كل بيت فلسطيني نقطة اضافية في برنامج الصراع على القدس وبقية «اراضي اسرائيل»، وتدعوان الى شراء أكبر ما يمكن من مناطق القدس، وتجنيد ما يمكن تجنيده لهذه الاغراض. كما تعتبران منطقة الحرم المقدسي الشريف «منطقة يهودية، وليست ذكرى من أعماق الماضي» (اياد عبدالخالق، «التهويد الزاحف»، **فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٩٧٤، ٢٩/٤/١٩٩٠). وكشفت مصادر اسرائيلية عن ان المجموعة التي احتلت بيت الضيافة خططت لاحتلال المبنى قبل ستة شهور؛ وانها أجرت مفاوضات حول شرائه خلال الفترة عينها، انتهت قبل اسبوع فقط من الاستيلاء عليه (**جيروزاليم بوست**، ١٨/٤/١٩٩٠). كما جاء احتلال المبنى في سياق الدعم المتواصل الذي تقدّمه الحكومة الاسرائيلية، برئاسة اسحق شامير، للمستوطنين، والذي كشف شامير نفسه، عن بعض جوانبه خلال الاسابيع الماضية. فقد ذكرت التلفزة الاسرائيلية، في نشرة مساء ٢١ نيسان (ابريل)، ان شامير أوكل الى مستشاره لشؤون الاستيطان، ميخائيل ديكل، القيام بالاجراءات اللازمة لتنفيذ برنامج استيطاني تضمّن ثلاث نقاط، هي: تثبيت المبنى الاستيطاني في النبي يوسف في نابلس؛ وتثبيت المباني الاستيطانية في تل الرميضة في الخليل؛ واقامة أربع مستوطنات جديدة في انحاء مختلفة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (**اليوم السابع**، باريس، العدد ٣١٢،